مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٢: ١٦–٢٠)

يا إخوةُ إذ نعلَمُ أنَّ الإنسانَ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ بل إنَّما بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ آمنَّا نحن أيضاً بيسوعَ المسيحِ لكي نُبرَّرَ بالإيمانِ بالمسيحِ لا بأعمالِ الناموسِ إذ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ أحدٌ من ذوي الجسَدِ* فإن كنَّا ونحنُ طالِبونَ التبريرَ بالمسيحِ وُجدنا نحنُ أيضاً خطأةً أفيكونُ المسيحُ إذاً خادِماً للخطيئةِ. حاشا* فإنّي إن عدتُ أبني ما قد هَدَمتُ أجعلُ نفسي متعدِّياً* لأنّي بالناموسِ مُتُّ للناموسِ لكي أحيا للهِ* معَ المسيحِ صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ. وما لي من الحياةِ في الجسدِ أنا أحياهُ في إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبَّني وبذلَ نفسَهُ عنّي.

النور والحياة في إنجيل يوحنا

«فيه كانتِ الحياةُ، والحياةُ كانت نورَ الناسِ، والنورُ يُضيءُ في الظلمةِ، والظلمةُ لم تُدرِكْهُ» (يو ١: ٤–٥).

لا يخطئ الباحثون والنقاد اللاهوتيون حين يسمّون الكنيسة الأرثوذكسية «كنيسة إنجيل يوحنا» أو «كنيسة الإنجيلي يوحنا»، لأن كنيستنا في تعليمها وعباداتها سعت، أكثر من أية جماعة مسيحية أخرى، إلى أن تستلهم فكر التلميذ الذي «كان يسوع يحبّه» (يو ١٣: ٢٣) لتتكئ على صدر «المعلّم»، وتتلقف منه أسرار المعرفة الإلهية وقوام وجودها ورسالتها على الأرض.

ومن أبرز العبارات التي طالما استوقفت آباء الكنيسة في تفسيرهم للإنجيل الرابع عبارتا «النور» و«الحياة» المتكرر ذكرهما في مطلع الإنجيل وفي أقوال الرب يسوع نفسه بحيث أنهما تحتلان مكانة محورية في النص، وتبدوان أساساً للبشارة بالمسيح المخلّص.

لكن ما سر هذا النور وهذه الحياة الوارد ذكرهما في إنجيل يوحنا؟

يعلّم الكتاب المقدّس أن الله هو وحده «الحي» (مز ٣٦: ١٠)، وأن كل ما هو موجود متعلّق بنفخة فمه (تك ٢: ٧، مز ١٠٤: ٢٨). فمن دون الإله ما هنالك إلا الموت. ولكي تبقى الحياة في الإنسان، ينبغي أن لا ينفصل هذا عن الله مصدر الحياة الأوحد وينبوعها الحقيقي. وسِفر الحكمة يوضح أن الله «خلق الإنسان لكي يحيا» (١: ١٣، ٢: ٢٣). ولكن الكتاب المقدّس بالإجمال يؤكّد أن الوجود على الأرض المعطى لكل كائن حي، ليس هو الحياة الحقة التي يشاء الله أن يهبها للإنسان من خلال علاقته معه. «الحياة الطبيعية» لا تضاهي بشيء «شجرة الحياة» القائمة في وسط الفردوس (تك ٣: ٢٢)، أي الحياة التي وعد بها الله شعبه (تث ٣٠: ١٥–١٦). فالإنسان مدعو أن يحيا في وئام عميق وشركة كيانية مع الله، في حوار حب وتبادل. الله يطلب الطاعة والمحبة والإخلاص من الإنسان، والإنسان يتخذ البركات والنِعَم فيحيا (تث ٣٠: ١٥–١٩، أم ٢: ١٩ و١١: ١٩، عا ٥:

العدد ٣٨/٢٠٠٩
الأحد ٢٠ أيلول
الأحد بعد رفع الصليب
تذكار القديس العظيم في الشهداء أفسطاثيوس وقرينته ثاوبيستي وابنيهما أغابيوس وثاوبيستس
اللحن السادس
إنجيل السَحَر الرابع

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩:١)

قال الربُّ مَن أراد أن يتبعَني فليكفُرْ بنفسه ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعْني. لأنَّ مَن أرادَ أن يُخلِّصَ نفسَهُ يُهلِكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلِّصُها* فإنَّه ماذا ينتفِع الإنسانُ لو ربحَ العالمَ كلَّهُ وخسرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الإنسانُ فداءً عن نفسه* لأنَّ مَن يستحيي بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ يستحيي به ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ معَ الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قوماً مِنَ القائمينَ ههنا لا يذوقون الموتَ حتى يَرَوا ملكوتَ اللهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

«مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني».

حتى لا تعتقد أنك تنكر نفسك فقط بالكلام، يوضح يسوع إلى أيّ حدّ يجب عليك أن تنكر ذاتك: حتى الموت، الموت المهين. لم يقل لينكر نفسه حتى الموت بل قال «ويحمل صليبه» دالاً على الموت المهين، ٤–٦، أر ٢١: ٨، مز ١٦: ١١).

كلمة «الحياة»، الواردة في مطلع إنجيل يوحنا، لا تعني استمرار وجود الإنسان على الأرض فحسب، بل العلاقة الوجودية القائمة بين الله والناس والتي تتحقق بالمسيح الكلمة. هذا الأمر واضح عبر سياق إنجيل يوحنا بجملته. «كما أنَّ الآبَ له حياةٌ في ذاتِهِ، كذلك أعطى الإبنَ أيضاً أن تكونَ له حياةٌ في ذاته» (٥: ٢٦). والرب يسوع يخبر أنه أتى من أجل خِرافِهِ «لتكونَ لهم حياةٌ وليكونَ لهم أفضَلُ» (١٠: ١٠)، أو كما يقول بأكثر وضوح: «أنا هو القيامةُ والحياةُ» (١١: ٢٥)، «أنا هو الطريقُ والحقُّ والحياةُ» (١٤: ٦).

أما النور في الإنجيل «الذي يُنير كلَّ إنسانٍ آتياً إلى العالمِ» (١: ٩) فمصدره المسيح. هو النور الذي يظهر للناس ليقتادهم إلى ملء الحياة. «أنا هو نورُ العالمِ، مَن يتبعْني فلا يمشي في الظلمةِ بل يكونُ له نورُ الحياةِ» (٨: ١٢).

والإنجيل منذ مطلعه يبشِّر بالنور الذي ينبثُ في العتمة فيبدّدها. يقتحم الظلمة لينير كل ما تقبض عليه. النور في إنجيل يوحنا لا يوازي الظلام أو يساكنه، كما في الديانات الشرقية الثنائية أو في بعض اتجاهات الفلسفة اليونانية، بل هو يقوى عليه ويبيده فلا يكون من بعد. لا يستطيع الظلامِ أن يوقف تقدّم النور أو أن يعيقه، إلا في حالة واحدة: إذا «أحبَّ الناسُ الظلمةَ أكثرَ من النورِ» (يو ٣: ١٩).

وخلاصة القول إن المسيح نور نقي «والظلمةُ لم تُدرِكْهُ» (١: ٥)، وهو الحياة الأبدية، التي لا بدء ولا نهاية لها. هذه الحياة المنيرة أتت إلى العالم لتنير مجتمع الناس وتاريخهم. ولكنّ أساس دخول الحياة إلينا وسكناها فينا أن يقبل الإنسان المسيح في ملء كيانه. أن يحبّ السيّد ويحفظ وصاياه، وأن يكون مستعداً لمواجهة الظلمة والانتصار عليها.

قبول النور باستمرار ورفض الظلمة بثبات لم يكونا يوماً أمراً سهلاً. هما «الباب الضيق» و«الطريق الكَرِبْ» (متى ٧:١٤) الذي أخبر عنه الإنجيل وسلكه القديسون. من أجل هذا النور وهذه الحياة ضحّى القديسون بكل شيء، وكانوا مستعدّين على الدوام لأن يدفعوا ثمناً باهظاً، أن يتخلّوا حتى عن حياتهم ليكونوا مع الله ويقيموا في حبّه. وكان مثال هؤلاء يوحنا المعمدان، «هذا جاءَ للشهادةِ، ليشهَدَ للنورِ، لكي يؤمنَ الكلُّ بواسِطتِهِ. لم يكن هو النورَ بل ليشهدَ للنورِ. كان النور الحقيقي الذي يُنيرُ كلَّ إنسانٍ آتياً إلى العالمِ. كان في العالمِ وكُوِّنَ العالم به ولم يعرفهُ العالمِ. إلى خاصَّتِهِ جاءَ وخاصَّتُهُ لم تَقْبَلْهُ. وأمَّا كلُّ الذينَ قبلوهُ فأعطاهم سُلطاناً أن يصيروا أولادَ اللهِ، أي المؤمِنونَ باسمِهِ، الذينَ وُلِدوا ليس من دَمٍ ولا من مشيئةِ جسدٍ، ولا من مشيئةِ رَجُلٍ، بل من اللهِ» (يو ١: ٧–١٣).

الإنتحار

«في العالمِ سيكونُ لكم ضِيقٌ، ولكن ثِقوا، أنا قد غَلَبْتُ العالم» (يو ١٦: ٣٣). هذا ما سبق الرب يسوع فأخبرنا به، بأنّنا سنمرّ في ضيقات كثيرة وآلام عظيمة، لكننا سنغلب كل ذلك بإيماننا بالقيامة التي غلب بها المسيحُ الموت وقام منتصراً.

على الإنسان المسيحي أن يتحلّى دائماً بالإيمان الذي بدوره يولّد

هذا ليس مرّةً واحدة أو مرتين بل في حياته كلها يجب أن يقوم بذلك. يجب أن تحفظ باستمرار في ذهنك ذكر الموت، وأن تستعد كل يوم للذبح. ذلك أن كثيرين مقتوا الأموال والملذّات والمجد لكنهم لم يزدروا بالموت بل خافوا من الأخطار، أما أنا فأريد من مجاهدي أن يصارعَ حتى الدم وأن تؤدّيَ به جهاداته إلى الذبح. حتى لو اضطر إلى أن يواجه الموت المهين أو اللعين أو الناتج عن شك شرير، عليه أن يواجهه بشجاعة، وقبل أيّ شيء أن يفرح بكل ذلك.

«ويتبعني» لأنه من الجائز أن يتألم الواحد دون أن يتبع المسيح، وعندها لا تأتي آلامه من أجل المسيح كما هي حال اللصوص الذين يعانون من الآلام الكثيرة وكذلك سرّاق القبور. كي لا تعتقد ان مجرّد وجو د الأخطار كاف، يضيف موضحاً المبرِّر أو الدافع للأخطار هذه، وهو أن تتبع المسيح فيما أنت تعاني من الآلام هذه، أن تصبر عليها من أجله وأن تحوز سائر أنواع الفضائل. لذلك يُضيف «ويتبعني»، حتى إذا ما واجه أحد الأخطار لا يبرهن فقط عن رجولة بل يُظهر أيضاً تعقلاً ووداعةً وأشكال التقوى كافة. هذا ما يقصد بالقول أن يتبع

الصبر والاحتمال والرجاء: «إحسِبوهُ كلَّ فرحٍ يا إخوتي حينما تقَعون في تجاربَ متنوِّعة، عالمينَ أنَّ امتحانَ إيمانِكم يُنشئُ صَبراً» (يعقوب ١: ٢–٣). ففي عالمٍ نتخبّط فيه من كل الجهات، ونتألّم لعدّة أسباب، ونصل أحياناً إلى «طرقٍ مسدودة» حسب التعبير البشري، نُدفَع غَصباً إلى الكآبة بسبب ضعفنا البشري وتالياً إلى التفكير بمهرب يريحنا من كل تلك الضغوط، فلا يجد البعض أمامه سوى فكرة الإنتحار.

نجد في الكتاب المقدّس عدداً من الروايات عن أفراد واجهوا صعوبات عظيمة وتحمّلوا أعباء هائلة. كاتب المزامير يقول: «كنتُ مُصاباً اليومَ كُلَّهُ وتأدَّبْتُ كُلَّ صباحٍ» (مز ٧٣: ١٤). حتى أن الكتاب يحوي روايات انتحار. فقد قتل شمشون نفسه مع الفلسطينيين في معبد داجون (قضاة ١٦: ٢٩–٣٠)، ووقع الملك شاول على سيفه بدلاً من أن يأسره الفلسطينيون (١ أخبار ١٠: ٤–٥)، وأخيتوفل مستشار الملك داود خنق نفسه (٢ صم ١٧: ٢٣)، وعندما رأى زمري أنّ عاصمته قد سقطت في أيدي المتمرّدين أشعل النار في قصره ومات محترقاً (١ مل ١٦: ١٨)، ولا ننسى يهوذا الإسخريوطي الذي شنق نفسه (متى ٢٧: ٥).

لا يقوم الكتاب المقدّس في أيّ من هذه الحالات بالتقليل من مأسويّة الإنتحار أو تلطيفه أو إضفاء الصبغة الشاعريّة عليه، ناهيك عن الموافقة عليه. على العكس، فإنّ الكتاب يؤكّد مراراً على قدسيّة الحياة الإنسانيّة والإقتناع بأنّ الرب يعطي الحياة وهو يأخذها: «الربُّ يميتُ ويُحيي، يُهبِطُ إلى الهاويةِ ويُصعِدُ» (١ صم ٢: ٦).

يمكن لتجربة الإنتحار أن تصيب الجميع، حتى أكثر الناس إيماناً بالله، ولكن «الذي يصبِرُ إلى المنتهى فهذا يخلص» (مر ١٣: ١٣). هذا ما حصل مع أيوب الصدّيق الذي أصابته جملة من المصائب حتى وصل به الأمر لأن يلعن اليوم الذي وُلِدَ فيه ويتمنى الموت لنفسه (أيوب ٣: ٣–١١)، لكنّه صبر وأسلم أمره لله الذي خلّصه. «بصبركم اقتنوا أنفُسَكم» (لو ٢١: ١٩)، هكذا يوصينا الرب، وهذا ما يشدّد عليه الرسول قائلاً: «مَن سيفصلنا عن محبّة المسيح؟ أشدّةٌ أم ضيقٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم عُريٌ أم خَطَرٌ أم سيفٌ؟» (رو٨:٣٥). نحن كمسيحيين مدعوون للتمسّك بعيش إيماننا كما فعل أيوب الصدّيق، ربما نضعف ونصاب بخسائر جمّة وبخيبات كثيرة، لكن في النهاية علينا أن نقول مثل أيوب: «الربُّ أعطى والربُّ أخذَ فليكُن اسمُ الربِّ مبارَكاً» (أي ١: ٢١).

علينا ألاّ ندع اليأس يتسلّل إلى نفوسنا، والطريق إلى ذلك، على حسب ما يخبرنا الرسول يعقوب، هي الصلاة: «أَعَلى أحدٍ بينكُم مشقَّاتٌ فليُصَلِّ» (يع ٥: ١٣). يقول القديس إسحق السرياني: «ضَعْ على الرب همّك ولن يعتريك خوف من المخاوف، طالما أنك قد كرّست ذاتك لله، فتعيش مرتاح البال». فلنلقِ على الربّ همومنا وهو يعولنا (١ بط ٥:٧)، ولنصرخ إليه صراخ داود في مزاميره (مز ١٣: ٢–٦) لأنّ الربّ يسمع صراخنا ويخلّص المنسحقي القلوب (مز ٣٤: ١٨).

إن الإنتحار هو هروب جبان لكنّه يتطلّب الكثير من الشجاعة لتنفيذه، فلماذا لا نوظّف شجاعتنا في مواجهة المصاعب التي تعترضنا متسلّحين بسلاح الله

الإنسان المسيح كما يجب: أن يهتم بكل أنواع الفضائل وأن يحتمل كلّ شيء من أجله. هناك أناس يتألمون ويتبعون الشيطان واهبين أنفسهم له. أمّا نحن فعلينا أن نتألّم من أجل المسيح أو بالأحرى من أجل أنفسنا. أولئك يؤذون أنفسهم في هذه الحياة وفي الأخرى، أمّا نحن فنربح هذه الحياة وتلك.

كيف لا نعتبره أقصى الجهالة أن لا نُظهر رجولة في وجه أبناء الهلاك خصوصاً إذ كنا متأكدين في تلك اللحظة من أننا نربح الأكاليل الكثيرة، ونحن لدينا معونة المسيح بينما هم لا يعينهم أحد؟ طبعاً سلّم المسيح تلاميذه هذه الوصية عندما أرسلهم للكرازة قائلاً: «إلى طريق أمم لا تمضوا» (مت١٠:٥) لأن «ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب» (مت١٠:١٦) «وتُساقون أمام ولاةٍ وملوك» (مت١٠:١٨)، إلاّ أن الوصية هنا أوسع وأقسى. لقد اكتفى آنذاك بذكر الموت بينما يتكلّم الآن عن الصليب، الصليب المستمر بقوله «ويحمل صليبه» ويقصد حمله بصورة مستمرة في كل ظرف. لا يكشف عن الوصايا الكبيرة للوهلة الأولى، بل يقدّمها برويّة شيئاً فشيئاً حتى لا يُدهش السامعين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الكامل، حاملين ترس الإيمان الذي به تُطفأ جميع سهام الشرير الملتهبة (أف٦: ١٠-١٨).

الإنتحار هو علامة قاطعة على عدم إيماننا بالرب وعدم ارتباطنا به. المؤمن يبقى مع الله في الصلاة في أية حال كان: «عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضاً بيسوع» (٢ كور٤: ١٤).

في النهاية، فلنصلِّ ليس لأنفسنا فقط، بل فلنحمل كلّ إنسان يائس تتقاذفه التجارب بصلاتنا، ولا ننسَ صلاة البراكليسي، أي الإبتهال الموجّه إلى والدة الإله، والتي تحمل الكثير من الرجاء إلى نفوس المصلّين، حيث نطلب فيها أن تكون والدة الإله عاضدة لنا في التجارب ومتحنّنة علينا بما أنّ لها دالّة والديّة عند ابنها وإلهنا، قائلين: «أنظري بإشفاق يا والدة الإله الكليّة التسبيح، إلى شقاء أجسادنا الصعب، واشفي أوجاع نفوسنا».

الإفتخار بعلامة الصليب

فلا نخجل، إذاً، من الإعتراف بالمصلوب، ولنرسم علامة الصليب بأصابعنا بصراحة على جباهنا وعلى كل شيء: على الخبز الذي نأكله، وعلى الكأس التي نشربها، وفي دخولنا وخروجنا، عندما نرقد وعندما نستيقظ، سواء كنا نسير في الطريق أو نستريح. إنها أداة قوية للوقاية من الأذى، مجانية للفقراء وغير متعبة للمرضى، بما أنها نعمة من عند الله. إنها علامة للمؤمنين وهلع للشياطين، لأنّه جرّدهم من سلطانهم وشهّرهم، إذ سيّرهم في موكبه الظافر (كو٢: ١٥). إنهم عندما يَرون الصليب يتذكّرون المصلوب، فيرتعدون من ذاك الذي سحق رؤوس التنانين (مز٧٤:١٤). لا تحتقر هذه العلامة لأنها مجانية، بل أكرم بسببها الرب المحسن.

القديس كيرلس الأورشليمي

مدرسة التنشئة اللاهوتية

يعلن مكتب التربية المسيحية في المطرانية عن بدء التسجيل للدورة الجديدة ٢٠٠٩-٢٠١٠ في مدرسة التنشئة اللاهوتية. افتتاح السنة الدراسية سيكون بصلاة الغروب التي ستُقام عند السادسة من مساء الإثنين ٥ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

تستقبل المدرسة كل مَن تجاوز الثامنة عشرة من العمر من الذين يريدون التعرّف على عقائد كنيستهم ولاهوتها. تُعطى الدروس أيام الإثنين والثلاثاء والخميس بين السادسة والثامنة مساءً في المركز الرعائي الشامل في مدرسة الأقمار الثلاثة مقابل كنيسة القديس ديمتريوس وتشمل الكتاب المقدس، العقائد، الآباء وكتاباتهم، الليتورجيا والأسرار والطقوس، التاريخ الكنسي، البِدَع والطوائف، القانون الكنسي، علم الاجتماع الديني وعلم النفس.

للتسجيل ولمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بالرقم ٠١/٣٣٤٠٨٦.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb